الفصل الثامن عشر

الفن

الفن ، لغة ، النوع أو الحال أو الضرب من الشيء . والجمع أفنان وفنون وافتنان الكلام اشتقاقه في فن بعد فن والمفتن والمتفنن وذو الفنون والمفن « بكسر ففتح » الذى يأتي بالعجائب وبضروب فن الكلام والفنان « بالتشديد » الحمار الوحشى وأطلاقها علي الرجل المفن، رجل الفن، شائع فى لغة الكتاب العصريين مع أن العرب لم تقل ذلك

وبينما الفن مادته : الفكر والنظر ، فان العلم مادته العمل والاثر . وقد يكون للشيء الواحد علم وفن: فالموسيقي « علم » حين ندرس قضاياها العامة كتقسيم النغم ، والموسيقي « فن » حين يتصرف المطرب في فنون النغم . والبلاغة « علم » حين تتحدث عن أحكام الفصل والوصل والايجاز والاطناب وما الي ذلك . والبلاغة « فن » حين يرسل الكاتب قلمه بالمقال البليغ

هذا و « الفن » اصطلاحا لفظ مرن ، فى معناه الاوسع ، هو كل شيء ليس طبيعياً ، بل من صنع الانسان . وهو ، على هذا ، يشمل المصنوعات والبلاغة والقصة ، وكل ماهو نافع أو لذيذ وما يجمع بين المنفعة واللذة كالميكانيكيات والآداب الرفيعة والهندسة المعمارية والحفر والنقش والزخرفة والرقص والموسيقى والشعر والغناء . أما الفن في معناه الضيق ، فهو ما يصنعه أو ما يقوله الانسان ثمرة للمواهب والكفاية المثلى من أجل المتعة النفسية فى ذاتها أى من غير أن يكون وسيلة الى شيء ينتفع به فى الحياة العملية

وقد عرف الانسان البدائي ساكن الكهوف الفن قبل عصر التاريخ

فلم يقتصر جهد سكان الكهوف فى عصر الحجر . عند صنع الادوات والاسلحة من الحجر ورؤوس السكاكين والقوس من العظام بل كانوا ينقشون على أيديها العظمية أشكالا حيوانية كالماموث ووحيد القرن والابل . ومن هنا نشأت فكرة محاكاة مافي الطبيعة بالنقش والحفر وما اليهما استطابة للذة الفنية ونشدانا للمتعة النفسية .

والفن ، على هذا ، كل عمل أو مهارة منظمة ترمي الي تتبع الكائنات الظامية والى أهداف تعرف مقدماً اتباعا لقواعد كل عمل واستخداماً للمهارة ونتيجتها

وعند « عبد المنعم أبو بكر » ان الفن كلمة يخص بها عادة أشياء مختلفة متباينة ، فالتمثال قطعة فنية ، والنقش قطعة فنية ، والرسوم سواء ما كان منها بالزيت أو بالالوان الاخرى قطع فنية أيضاً ، ثم الموسيقى فن ، والشعر فن ، والنثر فن ، وكذلك التلحين فن ، والغناء فن . إذاً فالفن هو كل ما يخرجه لنا ذوق الانسان ليرضى به غريزة فيه لا يمكن أن نسميها إلا غريزة الفن ، إذا صح هذا التعبير . ونحن إذا أنعمنا النظر فى غرائز الحيوان والانسان رأيناها متشابهة فى الاصل . ذلك الاصل الذى يدفع بكل من الانسان والحيوان الي هدف واحد وهو البقاء ، والمحافظة على ذلك بالاكل والشرب ، ثم بالمدافعة عن النفس ، ولكن الطبيعة اختصت الانسان بغريزة أخرى هي « غريزة الجمال » أو قل غريزة الذوق السليم ، فالانسان الذي يصنع مثلا ابريقاً من الطين أو الحجر كي يملأه ماء للشرب ، كان في بدء حياته الاولى (أقصد بذلك الانسان الاول) يصنع أبريقاً يصلح لاحتواء الماء ، أما شكل هذا الابريق الخارجي فيحتمه الغرض الذي من أجله صنع ثم الآلة التى صنع بها ، ولكن سرعان ما تظهر الغريزة الاخري ، غريزة الذوق السليم ، فتراه قد طلى هذا الابريق بلون أحمر ، أو أحرقه في النار حتى يكتسب ملاسة لامعة ، أو رسم على سطحه الخارجي صوراً مختلفة لا علاقة بينها وبين ما يحويه الابريق .

وأول آثار للفن وصلت الينا كانت من صنع انسان عصر الفيضان (الطوفان) الذى سكن قبل آلاف من السنين ، المناطق التى خلت من الثلوج ، ذلك الانسان الذى سكن الكهوف في جنوبى فرنسا وشمال أسبانيا ؛ وترك لنا آثاراً من الفن أحجم البعض عند أول وهلة أن ينسبه اليه ، ترك لنا رسوماً نقشها على صخور تلك الكهوف ، دلت على مهارة عجيبة في الرسم ؛ وبعد ذلك انتهت حضارة ذلك الانسان الاول فى أوربا . وظهرت حضارات مختلفة فى الشرق الادنى وشمالى أفريقيا . هذا وفى عصور فجر التاريخ الغابرة حلت بشمالي أفريقية عوامل طبيعية جعلتها مغمورة بالثلوج بينما كانت أوربا منطقة أمطار غزيرة ؛ وبعد حين انتقلت هذه العوامل الجوية الي أوربا فجعلتها مغطاة بالثلوج ، بينما كان شمالى أفريقية منطقة أمطار غزيرة . وهذا هو السبب الذى من أجله اختفت حضارة الانسان الاول فى أوربا ، وظهرت حضاراته في شمالي أفريقية والشرق الادني وكانت الآثار الاولى مشابهة الشبه كله لآثار ذلك الانسان الاول الذى ظهر في أوربا ، ولكنا نجد بعد ذلك أن الشرق الادنى تقدم فى حضارته تقدماً محسوساً ؛ حتى اذا ما حل العصر الحجرى الحديث رأينا أن الفن في الشرق الادنى ، وخاصة في مصر ، قد انتحى ناحية أخرى

والفن المصرى بدأ فى عصر فجر التاريخ يطبع بطابع يختلف مظهره عن فنون الامم المجاورة ؛ وهذا الطابع المصرى الذى كونته البيئة المصرية ، وعمل على تقدمه وتنميته العقل المصرى والفكر المصري ؛ احتفظ بمظهره الخارجى طوال التاريخ المصري ، أى ما يقرب من أربعة آلاف سنة ؛ ولكنا بعد الدرس والمقارنة سوف نجد أنه ليس من الصعب علينا أن نقسم هذا الفن الى عصور مختلفة يمتاز كل منها بطابعه الخاص

اعتقد المصري القديم فى الحياة الثانية ، واعتقد أيضاً أنه عند ما يحل الموت

تفارق قرينته (روحه) جسده ، على أن تعود بعد ذلك الى هذا الجسد من حين لآخر ، كي تحيا معه حياة تشابه من كل ناحية الحياة التى اعتاد صاحبها أن يحياها على الارض ، ولكي تحيا هذه (القرينة) في المقبرة يجب أن تجد ما كانت تأكله وتشربه وتتمتع به فى حياتها الاولى ، وليس هذا كل ما يساعدها على الحياة في المقبرة ، بل يجب أن تجد جسدها في حالة جيدة لا تهدم فيه ولا انحلال أما السبب في ذلك فهو أن الحضارة الحديثة والذوق الحديث والعقل الحديث قد تكونت على أسس الحضارة والذوق والعقل الاغريقى القديم . فنحن لا زلنا نفكر ونرى الاشياء كما فكر ورأى الاشياء الاغريقي القديم

وعلى ذلك بينما نحن نفهم الفن اليونانى بالسليقة ، فاننا نحتاج الى دراسة لفهم الفن المصرى ، وإذا تمكنا من فهم الفن المصري ، فان اعجابنا به واستساغتنا له واحترامنا لفنانيه سوف يعادل — إذا لم يفق — اعجابنا واستساغتنا للفن اليوناني واحترامنا لفنانيه .

تمثال حامل الحرية

من الآثار اليونانية القديمة ، تمثال حامل الحرية الذى يمثل الجسم الانساني الرياضي القوي الكامل عند اليونانيين . طول قوامه ١٧٥ سنتيمتراً ، وطول دائرة عنقه ٤٠ر٢٥ ودائرة صدره ١١٤ر٧٥ وخصره ٨٣ر٢٥ وكفله ٩٠ر٢٥ وفخذه ٥٦ر١٥ ومخلخله ٢٣ . أما وزنه فمائة وتسعة وسبعون رطلا انجليزياً

فن التمثيل

من الفنون القديمة تمثيل الروايات . كان اليونان أول من مثل الحوادث وقلد وقائعها ، وأول من فعل ذلك منهم صوازريون ودولون ، فقد مثلا رواية في اثينا في سنة ٥٦٢ قبل الميلاد ، وجرى على ذلك من جاء بعدهما من اليونان والرومان وهذا ما يسمونه فن التمثيل القديم . وكان مقصوراً على بعض الالعاب أو تمثيل

بعض الوقائع التاريخية أو شبهها المقتبسة من روايات هوميروس وغيره. أما فن التمثيل الحديث ، فقد نشأ في أوائل التاريخ المسيحي ، وكان في أول عهده محصوراً في تمثيل الوقائع الدينية نقلا عن التوراة والانجيل أو ما يترتب عليهما . وأقدم رواية مثلت على هذا النحو رواية غريغوري نازيانزن أحد رؤساء الكنيسة في سنة ٣٦٤ م مثل فيها « أسلام » المسيح . ومن هذا القبيل تمثيل واقعة الحسن والحسين في عاشوراء ، ولتمثيل هذه الوقائع وقع عظيم في النفوس . ثم اتخذ التمثيل الحديث صبغات مختلفة لم يكن لها شأن يذكر . على أن هذا الفن لم يتخذ شكلا قانونياً الا في القرون الاخيرة وأول من فعل ذلك تريسينو الايطالي ، فقدم مثل رواية في رومية بحضور البابا ليون العاشر في سنة ١٥١٥ م سماها صونوفيسيا . وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر ظهر شكسبير في انجلترا وموليير في فرنسا ، فأحييا هذا الفن وجددا رونقه وألبساه حلة لا يزال خلفاؤهما ينسجون على منوالها إلى هذه الساعة

الأدب : الشعر والنثر

كان إنسان ما قبل التاريخ يتسلق الاشجار وينتقل في الغابات بين الوحوش صائحا : « را ، را ، را ، بو ، بو ، بو ، بو » أو مناديا : « ها ، ها ، ها ، يا ، يا ، يا » . أي أن حديثه كان ألفاظا قصيرة التركيب ومتكررة ، ذات نغم موسيقي ووزن شبيه بالاوزان الشعرية ، لأنه كان إما مناديا أو مستغيثا أو متوجعا ، أي معبراً عن شعور ما . كما كان يجتمع مع قومه في حلقات للرقص في حماسة للقتال المستمر . وهذا هو أساس الشعر لفظا ومعنى ، إذ كان الشعر ، لفظا ، هو الكلام الموزون المقفى ، ومعنى ، هو الأبانة عما يجيش في النفس من المعاني والخيال . ثم إن هذه النداءات والصيحات البدائية قد تطورت الي الاوزان الشعرية التي تباينت تبعا للازمان والاماكن والمهن واللغات

ومن أجل هذا كان الشعر ، عند بعض العلماء ، أول مراتب الادب . أما النثر فقد ظهر حين كثر السكان وتعددت أغراض الحياة وألفاظها ، واحتاج الانسان الي التوسع في البيان . على أن أسبقية الشعر للنثر ليست أمراً مقطوعا به